الشّباب وظاهرة المخدّرات: دراسة سوسيولوجيّة، نظريّة وعمليّة.

Youth and the phenomenon of drugs: a sociological, theoretical and practical study.

سعيد قروي[1]

المعهد العالي للحضارة الإسلاميّة (تونس)

saidmoon@hotmail.fr

ماجد قروي[2]

كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة بصفاقس (تونس)

تاريخ الاستلام : 2022/05/16 ؛ تاريخ المراجعة : 2022/05/23 ؛ تاريخ القبول : 2022/07/27

ملخص الدراسة:

تعتبر ظاهرة المخدّرات من الظّواهر الاجتماعيّة الخطيرة الّتي اجتاحت العالم الإنساني. وتعدّ من القضايا الشّائكة، ومحور اهتمام المجتمعات في كافّة أنحاء العالم. وقد مسّت هذه الآفة جميع الأطياف العمريّة بمختلف أنواعها، وتغلغلت صلب الفئات العمريّة الحسّاسة وخاصّة لدى المراهقين.

إذ بات حريّ على الجهات المعنيّة، مجابهة هذه المعضلة في الرّاهن والسّعي المتواصل لمعالجة المدمنين من المتعاطين للمخدّرات، وتوعية الرّاغبين في التّعاطي من خلال الخوض في تبعاتها الخطيرة المتنوّعة. لذلك استدعت هذه الدّراسة التّطرّق لآفة المخدّرات من النّاحية السّوسيولوجيّة، والإحاطة بالأسباب الرّئيسيّة في جعلها متفشّية داخل جلّ الأوساط، وإيجاد الحلول الجذريّة في الحدّ من هذه الظّاهرة الاجتماعيّة.

الكلمات المفتاحية: ظاهرة المخدّرات، الأسباب الرّئيسيّة، التّبعات، الحلول الجذريّة.

Abstract:

The phenomenon of drugs is one of the dangerous social phenomena that have swept the human world. It is one of the thorny issues, and the focus of attention of societies all over the world. This scourge has affected all age spectrums of all kinds, and has penetrated into sensitive age groups, especially adolescents.

It is incumbent upon the concerned authorities to confront this dilemma at the present time and to strive continuously to treat drug addicts, and to educate those who wish to take drugs by delving into its various dangerous consequences. Therefore, this study called for addressing the scourge of drugs from a sociological point of view, and to take note of the main reasons for making it prevalent in most circles, and to find radical solutions to reduce this social phenomenon.

Keywords: The drug phenomenon؛ the main causes؛ the consequences؛ the root solutions.

1- مقدمة:

يتمخّض الإنسان بين جوهر الجسد وجوهر الرّوح، وبين الجوهر المادّي والجوهر المعنوي، ويُعتبر العقل الملكة الرّبّانيّة الفريدة الّتي كانت ولا تزال الوسيلة المميّزة للإنسان. وانطلاقا من البحث في الموروث الدّيني وفي الوحي المكتوب أي في ثنايا القرآن الّذي أنزله شديد القوى، والّذي يحمل حثّا متواصلا ومؤكّدا على صيانة العقول والنّأي بها عن كلّ ما يتلفها أو يصيب حضورها بالاضمحلال والضّياع. ومن ثمّ بات وجوبا المحافظة على العقل باعتباره كلّيّة من الكلّيّات الخمس الضّروريّة الّتي تضمن استمراريّة الحياة الإنسانيّة، باعتبار أنّ كلّيّة حفظ العقل من المصالح الضّروريّة الّتي لا تَصلُح حياة الإنسان ولا تستقيم المجتمعات إلّا بها.

ويعتبر العقل أداة التّمحيص والتّمييز والإدراك، إذ ميّز الله الإنسان عن باقي المخلوقات بالعقل وكرّمه وأباح له الطّيّبات، وحرّم عليه الخبائث ووضعه في مقام التّشريف والتّكريم. ويُعتبر الإنسان الوسيلة الّتي تتحكّم في العالم وتسيّره من خلال الاكتشافات والابتكارات استئناسا بالعقول وما تفرزه من أفكار حيّة تساهم في تحقيق النّهضة

الفكريّة والحضاريّة للشّعوب. وبات لزاما السّعي المتواصل لحماية الملكة الإلهيّة والذّود عنها لحماية استمراريّتها وضمان التّرقّي للمجتمعات الإنسانيّة.إذ تعتبر مشكلة المخدّرات من المشكلات الاجتماعيّة الّتي تصيب العقل. وتفاقم تغلغلها صلب المجتمعات العربيّة عامّة والتّونسيّة خاصّة.

وتمثّل ظاهرة المخدّرات من الظّواهر الشّائكة والمنتشرة في الرّاهن، وتعدّ الأخطر على الأفراد والمجتمعات،إذ أضحت موضوع العصر في شتّى أنحاء العالم من خلال تعدّد الدّراسات والبحوث في هذا المجال،وخاصّة من الجوانب الاجتماعيّة والنّفسيّة. وهو سبب من الأسباب الرّياديّة في الخوض في هذه الظّاهرة المستحدثة والمنتشرة بصفة متغلغلة.إذ مدّت جذورها داخل الأطياف الاجتماعيّة وذلك من خلال الإحاطة بالأسباب المؤدّية إلى تفشّيها والكشف عن الحلول الجذريّة في انتشارها من خلال دراسة ميدانيّة نحاول من خلالها جمع بيانات من داخل المجتمع المدني عبر عيّنة من المستهلكين والمتعاطين للمخدّرات. ومن ثمّ، الانتهاء إلى تحصيل الأسباب الأساسيّة في تفشّي هذه الظّاهرة الخطيرة، ومدى تجاوز هذه الظّاهرة، والإلمام بالحلول الأساسيّة في القضاء على هذه الآفة الاجتماعيّة، وفكّ المشكلات والعوامل الّتي تبلور انتشارها وتساهم في تفشّيها.

2 – إشكاليّة البحث:

خصّصت هذه الدّراسة الميدانيّة للإلمام بالجوانب المساهمة في نشأة ظاهرة المخدّرات من خلال جمع آراء ومفاهيم خاصّة بحقل المخدّرات بالاستئناس بالأشخاص الّذين يتعاطون المخدّرات ويستهلكونها بصفة يوميّة، والّذين يتعاطون باستمرار أنواع المخدّرات المنتشرة في المجتمع والمستهلكة بصفة مستمرّة ومتكرّرة وبشكل مكثّف.

وتتمثّل أهمّيّة الدّراسة السّوسيولوجيّة للمخدّرات باعتبارها تسهم في نشأة العلاقات الاجتماعيّة المنفصلة، وتؤثّر على التّرابط الاجتماعي وعلى الفعل الإنساني، ليجنح للعنف بشتّى أنواعه وارتفاع نسبة الجريمة في المجتمع.

وتعتبر هذه الدّراسة سعيا للإحاطة بظاهرة المخدّرات صلب الدّائرة الاجتماعيّة في معتمديّة سيدي علي بن عون من ولاية سيدي بوزيد من الجمهوريّة التّونسيّة باعتبارها مجالا للبحث، وإجلاء كلّ ما ينسجم مع هذه الظّاهرة من أسباب وآفات ومعضلات، من خلال الإجابة على هذه الإشكاليّة الرّئيسيّة: **كيف يمكن فهم علاقة الشّباب بالمخدّرات سوسيولوجيّا؟**.

وتتفرّع عن هذه الإشكاليّة الرّئيسيّة عديد الإشكاليّات الفرعيّة:

– ماهي أهمّ الدّوافع الّتي تجعل الشّباب يقبل على استهلاك المخدّرات؟.

– ما الحقل الهويّاتي المرتبط بهذه الظّاهرة؟.

– ماهي أهمّ تبعات استهلاك الشّباب للمخدّرات؟

– أيّ حلول للحدّ من انتشار الظّاهرة؟.

3 – أهداف البحث:

اعتمدنا في هذه الدّراسة بالأساس على منهج المقابلة المباشرة والّتي شملت بالأساس 04 متعاطين كعيّنة بحثيّة، وأسئلة تستهدف البحث في أسباب تعاطي المخدّرات،وتبعات الإدمان على المخدّرات والبحث في الحلول المقترحة لمعالجة ظاهرة المخدّرات بغية الوصول إلى معطيات إحصائيّة دقيقة.

كما تمّ الاستعانة بالمنهج الكيفي لتحليل الحلول المقترحة من المستهلكين ومعرفة تمثّلاتهم وآليّاتهم المقترحة لمعالجة هذه الظّاهرة.

أمّا الأهداف الّتي نرنو إلى تحقيقها، وإن بشكل نسبي هي الآتية :

– معرفة الأسباب الرّئيسيّة المؤدّية إلى ظاهرة المخدّرات وأشكالها.

– معرفة تبعات الإدمان على المخدّرات.

– الإلمام بالحلول الّتي تسهم في الحدّ من ظاهرة المخدّرات.

4– الإطار المفاهيمي لظاهرة المخدّرات:

ننطلق في هذا العنصر النّظري ببيان المفهوم اللّغوي والاصطلاحي للمخدّرات. و"المخدّرات لغة من الجذر إمذلال يغشى الأعضاء: الرِّجل واليد والجسد، وقد خدرت الرجل تخدر،والخدر من الشّراب والدّواء، فتور يعتري الشّارب وضَعْف. والخدرة ثقل الرِّجل وامتناعها على المشي. والخدر في العين فتورها والخدر هو الكسل والفتور والخادر هو الفاتر الكسلان". (**جمال الدّين بن منظور، 1884، ص232**). و"الخدر: الستر، وجارية مخدّرة إذا لازمت الخدر، وأسد خادر أي: داخل الخدر. خدر خدرا: استتر، يقال خدر الهودج الّتي عليه السّتر، وخدر المرأة: ألزمها خدرها وصانها عن الخدمة لقضاء الحوائج. خدر خدرا: عراه فتور واسترخاء، ويقال خدر من الشّراب أو الدّواء، وخدر جسمه، وخدرت عظامه، وخدرت يده أو رجله، وخدرت عينه: ثقلت من قذى يصيبها. والمخدّر: مادّة تسبّب في الإنسان والحيوان فقدان الوعي بدرجات متقاربة كالحشيش والأفيون، ج مخدّرات".

(**أبو نصر إسماعيل الجوهري، 1987، ص307**)

أمّا في الاصطلاح فهي "كلّ مادّة تسبّب نوعا من النّشوة وتخفيف الألم سواء كانت مادة خام أو مصنّعة تؤثّر على الفرد نفسيّا وجسديّا واجتماعيّا في حال التّعوّد عليها وتزيد من حالة التّوتر النّفسي والألم الجسدي إذا تمّ التّوقّف عن تناولها".(**دريفل سعدة، 2011، ص17**)، وهي "مادّة طبيعيّة أو كيميائيّة تحدث عند تعاطي الإنسان لها أو استعمالها تغيّرا في شخصيّته أو وظائف جسمه أو سلوكه". (**عبد الرّحمان محمّد أبو عمّة، 1998، ص18**)، وهي "مجموعة من العقاقير الّتي تؤثّر على النّشاط الذّهني والحالة النّفسيّة لمتعاطيها، ما ينشّط الجهاز العصبي المركزي أو إبطاء نشاطه أو تسبّبها للهلوسة أو التّخيّلات، وهذه العقاقير تسبّب الإدمان، وينجم عن تعاطيها الكثير من مشاكل الصّحّة العامّة والمشاكل الاجتماعيّة". (**محمّد فتحي عيد، 1987، ص130**)، وهي "تلك المواد الّتي تؤدّي بمتعاطيها ومتداولها إلى السّلوك الجانح، وهي أيضا المواد المذهبة للعقل فيأتي مستعملها سلوكا منحرفا". (**عبد العزيز**

بن علي الغريب، 2006، ص33)، وهي "كلّ مادّة خام تأثير منبّه أو مخدّر تؤدّي إذا استخدمت في غير الأغراض الطّبيّة والصّناعيّة إلى حالة التّعوّد والإدمان ممّا يؤدّي إلى إلحاق الضّرر بالفرد والمجتمع".

(مصلح الصّالح، 2000، ص174)

إنّ البحث في بطون الكتب ومتون الدّراسات حول ظاهرة المخدّرات يجعلنا نسلّم بخطورة هذه الظاهرة الّتي تهدّد الإنسانيّة، وتساهم في القضاء على العقول ودمار الفئات العمريّة الّتي تستهلك هذه السّموم بصفة غير مشروعة. ومن ثمّ،أصبح الحديث عن المخدّرات وما تسبّبه من أضرار ومخلّفات ومعوّقات تصيب المجتمعات،أمرا مألوفا ومتكرّرا سعيا إلى إيجاد حلول للحدّ من انتشار هذه الظّاهرة والوعي التّامّ بخطورتها،إذ"تحدّدت أغلب دول العالم لمواجهة شبح المخدّرات عن طريق إصدارها لعدّة اتّفاقيّات دوليّة في المجال،إضافة إلى التّشريعات الوطنيّة،أرست فيها كافّة المبادئ القانونيّة الّتي تجرّم مختلف صور التّعامل في المخدّرات، وقصد استخدامها على الأغراض الطّبيّة والعلميّة ومنع تسرّبها للاستعمال غير المشروع ومكافحة الاتّجار غير المشروع بها وعلاج الإدمان عليها". (**محمّد حسّان كريم، 2017، ص258**)

وأضحت المخدّرات حاجزا في جلّ أنحاء العالم لاستفحالها وانتشارها المتسارع داخل الأوساط الاجتماعيّة المختلفة والمتنوّعة. ومن الملاحظ أنّ المخدّرات لم تكن حديثة بل كانت قديمة، وشملت الحضارات القديمة والمجتمعات الإنسانيّة السّابقة.وكانت منتشرة في القديم داخل الحضارات لغاية التّطبيب والمعالجة عند المصريّين والصّينيّين،إلّا أنّ مستخلصات المخدّرات لم تتواجد إلّا حديثا مثل "المورفين عرف سنة(1803)، والهيروين عرف سنة (1874)، كما استخلصت من أوراق الكوكا مادّة الكوكايين سنة(1860)، وهكذا بالنّسبة لبقيّة المواد المخدّرة نصف المصنّعة، ونفس الشّيء بالنّسبة للمخدّرات المصنّعة في المختبرات كالأمفيتامينات الّتي اكتشفت سنة 1887، والبنزوديألبينات والّتي عرفت هي الأخرى سنة (1955)".(**عبد الباقي عجيلات، 2018، ص40**)، ومن ثمّ، لا يخلو مجتمع في العصر القديم أو العصر الحديث من المخدّرات سواء كان الاستخدام لعلاج بعض الأمور النّفسيّة والعصبيّة أو التّطرق إليها في شكل مؤتمرات لمعالجة هذه الظّاهرة الّتي تفشّت في الوسط الإنساني لغاية النّشوة لا التّطبيب والمعالجة النّفسيّة أو العصبيّة وما "من مجتمع ترامتإلينا سيرته عبر القرون أو عبر مستويات التّغيّر الحضاري المتعدّدة إلّا وجدنا بين سطور هذه السّيرة ما ينبئ بشكل مباشر أو غير مباشر عن التّعامل مع مادّة أو مواد محدثة لتغيّرات بعينها في الحالة النّفسيّة بوجه عامّ أو في الحالة العقليّة بوجه خاصّ لدى المتعامل. وتتزامن إلينا هذه السّيرة عن الصّين والهند ومصر وفارس واليونان القديمة". (**مصطفى سويف، 1996، ص13**)

وتصنّف الكحول والتّبغ والعقاقير المحظورة ضمن المخدّرات، وكذلك تلك المؤثّرة نفسيّا والأدوية المؤثّرة عقليّا و"كذا بعض المنتوجات الّتي تستهلك في غير وجه استخدامها المألوف مثل الصّمغ، المذيبات، المواد الاصطناعيّة غير المصنّفة بعد، فضلا عن فطريّات الهلوسة". (**نيكول مايستراشي، 2014، ص10/09**)، وتنقسم المخدّرات إلى عدّة فئات تؤثّر على الجهاز العصبي، وتحدث اضطرابات في الإدراك أو في المزاج أو في التّفكير أو في الحركة

والسّلوك، لدى المستهلك لها، ونجد "فئة الكحوليّات وتشمل جميع المشروبات الكحوليّة، وفئة الأمفيتامينات مثل الأنفيتامين، والدّيكسامفيتامين، والميتافيمتامين، وفئة الباربيتورات مثل الدّيازيبام، والميبروباميت، وفئة القنبيّات مثل مستحضرات القنب بما في ذلك الماريوانا والبانج والجانجة والكاراس .. وفئة الكوكايين وتشمل الكوكايين وأوراق الكوكا والكراك وفئة المهلوسات مثل اللّيسيرجايد المعروف باسم **LSD**، وفئة القات وفئة الأفيونات أو المورفينات وفئه المواد الطّيّارة الاستنشاقيّة مثل الأسيتون، وفئة الطّباق النّيكوتين، وفئة البن والشّاي (الكافيين)".

(مصطفى سويف، 1996، ص22/21)

5- ظاهرة استهلاك المخدّرات بين علم الاجتماع والعلوم الأخرى:

لا يمكن فهم مساهمة علم الاجتماع وأحقّيّته في مجال ظواهر الانحراف وخصوصا ظاهرة المخدّرات دون تسليط الضّوء على كيفيّة تطرّق بعض العلوم الأخرى إلى ظاهرة استهلاك المخدّرات.

1.5- المخدّرات في علم الأحياء (البيولوجيا):

يركّز علم الأحياء على سؤالين رئيسيّين مترابطين وهما: أوّلا، كيف ولماذا تؤثّر المخدّرات على سلوك الفرد ومزاجه وإدراكه؟، وثانيا، ما العوامل البيولوجية الّتي تفسّر سبب تعاطي بعض الأشخاص للمخدّرات أكثر من غيرهم؟.

وفيما يتعلّق بالسّؤال الأوّل، فإنّ علم الأحياء له من الأهليّة ما يمكّنه من الفهم الممتاز لعمل الأدوية وتأثيراتها، وأيضا كيفيّات تأثير الأدوية على مناطق معيّنة في الدّماغ والنّاقلات العصبيّة الّتي تسبّب ذاك التّاثير، فعلى سبيل المثال ينتج الكوكايين النّشوة والمشاعر الإيجابيّة الأخرى لأنّه يتسبّب في تراكم الدّوبامين وهو ناقل عصبي مرتبط بمشاعر المتعة والنّشوة.

وفيما يتعلّق بالسّؤال الثّاني، يفترض البحث البيولوجي وجود أشخاص معرّضين أكثر من غيرهم للأمان من النّاحية الفيسيولوجيّة و/أو النّفسيّة على عقار معيّن وهو افتراض يتأسّس على العامل الوراثي حيث ركّزت معظم الأبحاث حول الاستعداد الوراثي على العلاقة الارتباطيّة بين العوامل الوراثيّة والإدمان على المخدّرات، فعلى سبيل المثال وجدت بعض الدّراسات الّتي أجريت على التّوائم سنة(2012)أنّ الأطفال التّوائم أكثر عرضة من الأشقّاء في الإصابة بمشاكل الكحول. **(Hanson, G. R., Venturelli, P. J., Fleckenstein، 2012)** ووجدت الدّراسات الّتي أجريت على أطفال الآباء المدمنين على الكحول والّذين تمّ تبنّيهم من قبل آباء غير مدمنين على المخدّرات والكحول أنّ هؤلاء الأطفال أكثر عرضة من أولئك الّذين ولدوا لأبوين غير مدمنين على الكحول. على الرّغم من أنّ الاستعداد الوراثي للإدمان على المخدّرات موجود في كثير من الحالات إلّا أنّه لا توجد أبحاث كافية لتأكيد هذه الافتراضات من عدمها.

2.5- المخدّرات في علم النفس:

تنضمّ التّفسيرات النّفسيّة إلى التّفسيرات البيولوجيّة في التّركيز على سبب تعاطي بعض الأفراد للمخدّرات والإدمان عليها أكثر من غيرهم، ويتجلّى دور علم النّفس في كشف الفروق الشّخصيّة بين متعاطي المخدّرات وغير

المتعاطين وتفترض هذه التّفسيرات وجود سمات شخصيّة تجعل بعض الأفراد أكثر عرضة من غيرهم لتعاطي المخدّرات ومنها على سبيل المثال تدنّي احترام الذّات وانخفاض الثّقة بالنّفس والآخرين والحاجة إلى الإثارة والتّحفيز أو وجود مشاكل شخصيّة تجعلهم عرضة تعاطي المخدّرات.

وتطرح التّفسيرات الشّخصيّة مشكل منهجي هامّ: إذا وجدنا اختلاف في الشّخصيّات بين المتعاطين للمخدّرات وغير المتعاطين. فهل نستنتج أنّ المشاكل الشّخصيّة تسبّب تعاطي المخدّرات أم أنّ تعاطي المخدّرات يتسبّب في مشاكل شخصيّة وتوتّرات نفسيّة؟.

ولا تستطيع معظم الأبحاث المتعلّقة بالشّخصيّة وتعاطي المخدّرات الإجابة بشكل كاف على هذا السّؤال لأنّها تدرس المتعاطين للمخدّرات وغير المتعاطين بشكل متزامن (بحث مقطعي). للإجابة على هذا السّؤال بالشّكل المطلوب، وجب الاعتماد على البحث الطّولي الّذي يفحص نفسيّة الأشخاص بمرور الوقت لأنّ البحث الطّولي أمر ضروري لمعرفة دواعي امتناع الأفراد عن استهلاك المخدّرات في البداية أو الإقبال عليها في مرحلة أخرى لمعرفة تأثيرات المشاكل النّفسيّة والسّمات الشّخصيّة على الأفراد في علاقة بالمخدّرات وعادة ما تشمل العيّنة المراهقين وطلّاب الجامعات.

وتستند التّفسيرات النّفسيّة الأخرى إلى المفهوم الكلاسيكي من علم النّفس السّلوكي، وهو التّكيّف الفعّال، حيث يعتبر الأفراد والحيوانات أكثر عرضة للقيام بسلوك معيّن عندما يكافؤون ويعزّزون لأجله، بمعنى آخر، تفترض هذه التّفسيرات أنّ المخدّرات معزّزات إيجابيّة من ناحيتين:

- توفّر الأدوية تأثيرات ممتعة وبالتّالي تعزيز مباشر.
- غالبا ما يكون تعاطي المخدّرات سلوك جماعي إذ يتعاطى الأفراد المخدّرات مع مجموعات ويستمتعون بهذا النّوع من النّشاط الاجتماعي، وبهذه الطريقة توفّر المخدّرات تعزيز غير مباشر.

3.5- تفسيرات علم الاجتماع لظاهرة المخدّرات:

تؤكّد التّفسيرات الاجتماعيّة على أهمّيّة جوانب معيّنة من البيئة الاجتماعيّة أو البنية الاجتماعيّة والرّوابط الاجتماعيّة للأسرة والمدرسة والتّفاعلات الاجتماعيّة والمعطى الثّقافي أو علاقة المخدّرات بالمجال الاجتماعي، مثل ميل أبناء المناطق الحضريّة إلى استخدام الهيروين والكراك دون غيرهما للتّأكيد على فكرة عدم المساواة الاجتماعيّة ودورها في الإقبال على مخدّر دون غيره وهي فكرة أكّدها عالم الاجتماع **"Currie Elliot" (1994)** حيث اعتبر تعاطي المخدّرات ليس موزّعا بالتّساوي بل يعمل على طول خطوط الصّدع في مجتمعنا بناء على ما استنتجه من استخدام شباب المناطق الدّاخلية في أمريكا لمخدّر الهيروين في السّتّينات معيدا ذلك إلى بقاء هذه المناطق فقيرة حتّى مع نموّ الاقتصاد الأمريكي، ممّا دفع بالشّباب فيها إلى استخدام الهيروين لأنّ إثارة الفيسيولوجيّة تساعد على نسيان أوضاع الفقر والحرمان والتّهميش وبديلا لقتامة حياتهم اليوميّة.

وترى التّفسيرات السّوسيولوجيّة أيضا أنّ الرّوابط الاجتماعيّة للعائلة والمدرسة تحدث فروقا؛ فالمراهقون ذوو الرّوابط الضّعيفة مع عائلاتهم ومدارسهم (الانتماء، القرب الّذي يشعرون به تجاه أبائهم ومعلّميهم..) لهم قابليّة أكثر لاستهلاك المخدّرات لأنّهم أقلّ عرضة لقبول الأعراف التّقليديّة والقيم والتّقيّد بمهما.

للتّفاعل الاجتماعي دور مهمّ كذلك في استهلاك المخدّرات وخاصّة تأثيرات الأقران لأنّ الفرد غالبا ما يجد نفسه مجبرا أو مخيّرا إلى التّوافق مع الأقران والاندماج معهم.

ولمزيد من الفهم والإيضاح حول دور علم الاجتماع في فهم وتحليل ظاهرة المخدّرات سنسلّط الضّوء على أهمّ النّظريّات الاجتماعيّة وكيفيّات تفسيرها لظاهرة المخدّرات:

- المخدّرات من منظور وظيفي:

يهتمّ الوظيفيّون بكيفيّة اشتغال النّسق الاجتماعي بماهو نسق وظيفي وتفسير ما يعيق اشتغاله أي ماهو لا وظيفي **(Dysfunctional)** ويؤكّدون على فكرة الانسجام الاجتماعي، وأنّ الفرد صاحب دور وظيفي يساهم من خلاله في تحقيق توازن المجتمع واستقراره، وهو توازن يختلّ في حال أصبح ذلك الدّور لا وظيفيّا، ومن هذا المنظور فإنّ المخدّرات انحراف وخطر يهدّد كيان المجتمع والانسجام الاجتماعي لأنّه يهدّد سلامة الكلّ وانسجامه وتضامنه. ومن ثمّ، وجب الوقوف على أسبابه (أسباب اجتماعيّة بالأساس) لاجتثاثه، وضمان حسن سير اشتغال المجتمع.

-المخدّرات من منظور صراعي:

يرى منظّرو هذا الاتّجاه والّذين ينون أفكارهم على فكرة الصّراع الطّبقي وعدم المساواة، عند **" Karl Marx"** أنّ تعاطي المخدّرات يعود بالأساس إلى الآثار السّلبيّة لعدم المساواة الاجتماعيّة وضعف جهود النّخب الحاكمة في إيجاد حلول جذريّة لها.

يساعد هذا الاتّجاه في تفسير تعاطي المخدّرات في المناطق الحضريّة والأحياء الفقيرة وعلاقتها بعدم المساواة الاجتماعيّة والفقر وغيرها من الظّروف الّتي تؤثّر على الأفراد في هذه المناطق الجغرافيّة والبحث عن حلول – وإن كانت غير مشروعة– لتحسين أوضاعهم النّفسيّة والاجتماعيّة.

ويؤكّد الصّراعيّون أيضا على فكرة التّأثير الهائل للشّركات متعدّدة الجنسيّات في تسويق وبيع العقاقير المشروعة، كالكحول والتّبغ وغيرها، والّتي غالبا ما يكون لها تأثيرات فرديّة واجتماعيّة ضارّة، والمهمّ حسب هذه الشّركات الرأسمال المادّي على حساب مصلحة الأفراد وصحّتهم والمجتمعات.

-المخدّرات من منظور تفاعلي رمزي:

يركّز التّفاعليّون الرّمزيّون على تفاعل الأفراد فيما بينهم، وتعتبر المخدّرات فعل ناجم عن تفاعل الفرد مع أشخاص متعاطين للمخدّرات يتعلّم الفرد فيه كيفيّة استخدام المخدّرات والمواقف المختلفة الّتي تبرّر تعاطيها و تأثيراتها.

ومن أهمّ التّفاعليّون الّذين اهتمّوا بهذه الظّاهرة هوارد بيكر **"Howard Becker" (1953. P235-245)** في مقالة "أن تصبح مستخدما للماريجوانا".

وكتب أنّ شخصا ما يبدأ في تدخين الماريجوانا في وجود أصدقاء ذوي خبرة من مستهلكي المادّة نفسها وجادل بأنّ لهذا التّفاعل أهمّيّة بالغة بالنّسبة للمستهلكين الجدد، حيث يتعلّم الأفراد الجدد انطلاقا من مواقفهم التّفاعليّة ثلاثة أشياء:

- أوّلا: يتعلّم المستهلكون الجدد كيفيّة تدخين سيجارة الماريجوانا عن طريق استنشاق دخان الماريجوانا والاحتفاظ بالدّخان قبل الزّفير لتحدث الانتعاشة المطلوبة.
- يفهم المستهلكون الجدد الآثار الّتي يشعرون بها من تدخين هذه السّيجارة مثل الجوع وفقدان الذّاكرة على المدى القصير، وعادة ما يؤهّلهم أصدقاءهم ذوي الخبرة قبل الشّعور بهذه الآلام لتقبّلها وعدم الرّهبة منها.
- تشجيع الأفراد ذوي الخبرة في تعاطي المخدّرات للأفراد الغير المستهلكين أو المستهلكين الجدد، والتّأثير عليهم بمدى المتعة الّتي يشعرون بها عند الاستهلاك لطمأنتهم وتحفيزهم لاستهلاكها.

6- أهمّ دوافع استهلاك المخدّرات:

إنّ تنامي تعاطي المخدّرات وعدد الأفراد المدمنين عليها إحدى الظّواهر الاجتماعيّة الّتي تؤثّر على بنية المجتمع وصحّة الإنسان ويعدّ تعاطي المخدّرات سبب ونتيجة للعديد من المشكلات الفرديّة والجماعيّة،كما أنّه يلحق الضّرر بالفرد والأسرة والمجتمع. فضلا عن الجرائم والحوادث المروريّة والنّزاعات العائليّة والتّوتّرات والاضطرابات الجسديّة والعقليّة، ممّا يدعونا إلى تسليط الضّوء على دوافع استهلاكها والإقبال عليها، استئناسا بالمعطيات الميدانيّة الّتي استجمعناها من مقابلات مع شباب مستهلك ومروّج للمخدّرات بناء على بعض النّظريّات الاجتماعيّة والأفكار المتفرّعة عنها لأنّها خير أداة لفهم وتحليل هذه الأسباب وفهمها.

ومن ضمن هذه الأفكار والمواجهات المتفرّعة عن علم اجتماع البنية وعلم اجتماع الفعل (التّنشئة الاجتماعيّة،الوصم الاجتماعي، الثّقافة الفرعيّة، الانحراف).

1.6- الفضول ووقت الفراغ وتأثير أفراد الزمرة:

يقول الشّاب (م، ح) "ألتقي يوميّا مع أصدقائي في المقهى أو في حي الملاجئ (حيّ هامشي يقع في ضواحي مدينة سيدي علي بن عون بنته الدّولة للعائلات الفقيرة بعد الاستقلال محاولة منها لإدماج الطّبقات الفقيرة والمهاجرة من الرّيف في النّسيج الحضري) ونتطرّق إلى مواضيع مختلفة ننسى بها ضغوطات الواقع ونحاول باستمرار خلق أجواء ومناخات تنسينا الرّوتين الّذي نعيشه يوميّا ويكاد يتكرّر بصفة متطابقة، وفي وقت معيّن يتركنا بعض من أصدقائنا وينعزلوا في أحد مداخل الحيّ أو تحت جدران بعض البيوت الّتي لا يخرج أصحابها ليلا ويعودوا إلينا في حالة هستيريّة من الضّحك والفرح والنّشوة. الأمر الّذي دفعني مع مرور الأيّام إلى تجربة المخدّرات لعلّني أعيش هذه الحالة الخياليّة من البهجة (تسمّى باللّهجة العامّيّة "الشّيخة" وتعني النّشوة). وبمرور الأيّام صرت لا أستطيع التّخلي عن استهلاكها بل إنّني لا أستطيع تناول الطّعام أو المحافظة على مزاجي دون استهلاك المخدّرات (بالعامّيّة الزّطلة أي القنب الهندي) ". (مقابلة مع (م.ح)، مدينة سيدي علي بن عون، تونس ،2022/02/03)

ويضيف الشّابّ (س.ع) "تعلّمت استهلاك المخدّرات أثناء جلوسي اليومي في المقهى مع أصدقائي حيث كان صديقي يلحّ عليّ في كلّ مرّة باستهلاك القليل من المخدّرات مقنعا إيّاي بأنّه ليس لها أيّ أضرار وأنّه لا داعي للجبن والخوف. وأنّ الخوف ليس من صنيع الرّجال مطالبا إيّاي بالتّحلّي بالشّجاعة، فضعفت لمطالبه المتكرّرة خاصّة وأنّ الرّفض سيجعلني منبوذا وغريبا وجبانا في نظرهم. فماذا يفعل شاب غير متعاطي للمخدّرات وسط مجموعة مستهلكة للمخدّرات؟. لا أريد أن أكون محلّ سخرية فلا مكان لأبناء العائلات الراقية والجبناء وسط هذه الجلسات، وكنت في كلّ مرّة استهلك قليلا إلى أن وجدت نفسي متورّطا في هذا العالم المثير ". (مقابلة مع (س.ع)، مدينة سيدي علي بن عون ، تونس ،2022/02/03).

تقودنا أقوال المستجوبين أعلاها إلى جملة من الملاحظات والاستنتاجات:

- هيمنة تأثير أفراد الزّمرة على حساب مؤسّسات التّنشئة الاجتماعيّة التّقليديّة كالأسرة والمدرسة.
- تؤثّر أوقات الفراغ بصفة سلبيّة على زمرة الشّباب.
- تراجع الرّقابة الأسريّة والضّبط الاجتماعي في مقابل تنامي الفردانيّة والنّفعيّة وتأثير جماعات الزّمرة.
- التّجربة والمغامرة وليدتان للفراغ والعلاقة التّفاعليّة بين الفرد والمجموعة.
- غياب ضوابط وقيم يتحرّك في إطارها الشّباب ويمتنع عن إتيان السّلوكيّات المخالفة لقيم المجتمع ومعاييره.
- يتمّ تعلّم سلوك الإدمان من خلال العلاقة التّفاعليّة اليّوميّة بين الفرد والمجموعات الخاصّة.

وبالعودة إلى ما سبق نتبيّن أنّ الأدوار الّتي كانت تقوم بها الأسرة والمدرسة، تلاشت وصارت عديمة المعنى، فهذه المؤسّسات كانت لوقت قريب تؤمّن التّنشئة الاجتماعيّة المتوازنة للأبناء وتقوم بتوريث القيم الاجتماعيّة النّبيلة وغرسها في النّاشئة لتكون منهاج يتحرّك وفقه الأفراد داخل المجتمع.

ومن ثمّ، فإنّ ضعف أدوار هذه المؤسّسات لا يمكن فصله عن تجربة التّحديث سواء في المجتمع التّونسي أو باقي المجتمعات العربيّة، فعمق التّغييرات الواقعة منذ فجر الاستقلال الهادفة بالأساس إلى بناء إنسان حداثي عقلاني منفتح على القيم الكونيّة جعلت مؤسّسات التّنشئة الاجتماعيّة وما تطرحه من كفايات وخبرات نوعيّة ومعرفيّة وقيميّة، موضوع تساؤل وهدف للتّغيير والمراجعة. والأسرة ليست بمعزل عن هذه التّحولّات الهيكليّة لأنّها المؤسّسة الّتي تؤمّن إعادة إنتاج المعارف والخبرات للأجيال اللّاحقة وإعداد الأفراد ليكونوا كائنات اجتماعيّة مواكبة للمستجدّات، والأهداف الرّامية إلى بناء مجتمع حداثي، وفيها يتمّ الاستثمار لرسم مستقبل الفاعلين ورؤاهم. أمّا المدرسة فهي أحد أهمّ المؤسّسات الّتي ارتكزت عليها الدّولة لعصرنة المجتمع وتخليصه من شوائب الفكر التّقليدي على اعتبار دورها التّربوي والتّعليمي في نحت النّاشئة وتوجيه فكرها وفعلها. إذ لم تؤدّ الأهداف سالفة الذّكر إلى بناء أفراد متشبّعين بالقيم والأعراف الاجتماعيّة، ولا نجحت في بناء إنسان حداثي عقلاني يتجاوز بفكره كلّ ما من شأنه الإضرار بمصلحة الفرد والمجموعة. بل عمّقت نموذج الإنسان المتمزّق والفردانيّة على حساب التّضامن الاجتماعي والتّقيد بالأعراف والقيم، ممّا أفرز ظواهر الحرّيّة المطلقة وغياب الضّوابط الاجتماعيّة، وشبه انعدامها،

وغياب سلطة الأسرة والمجتمع. وبالتّالي تنامي ظواهر الانحراف واستهلاك المخدّرات وغيرها، لأنّ التّحديث لم يحدث في كنف التّدرّج بين القديم والحديث أو سبقته تجربة صناعيّة كما هو الحال في المجتمعات الغربيّة، بل كان فعل فوقي نخبوي قسري أدّى إلى نتائج مضادة.

وبالعودة إلى ما سبق ذكره، نتبيّن أنّ ثقافة مجموعة الأقران ثقافة فرعيّة لها نواميسها وقواعدها حيث يجد الشّاب نفسه مجبرا على إتّباعها حتّى لا يكون منبوذا من قبل عناصرها. وكذا هو الحال مع مجموعات الزّمرة المستهلكين للمخدّرات.

ويمكن تبيّن الثّقافة الفرعيّة من خلال جملة من التّعبيرات الثّقافيّة كالملابس واللّغة والموسيقى والهوايات وغيرها، إذ تختلف عن النّمط السّائد، أي هي ثقافة تختلف عن السّائد والمألوف والتّقليدي. حيث يتمّ تحويل الرّؤى التّقليديّة للسّلع والأشياء والهوايات، وابتكار أخرى جديدة، لحدّ أنّ **"Louis Althusser"** اعتبرها قراءات جديدة تخريبيّة سرية لعالم الأشياء، فمن خلال الممارسات تكشف الثّقافات الفرعيّة عن هويّتها السّرّيّة، وتنقل معانيها المحضورة، فهي شكل من أشكال السّرياليّة الّتي تحطّم الفطرة السّليمة وتهدم المتعارضات المنطقيّة التّقليديّة (الحلم، الواقع/العمل، اللّعب...). **(Hebdige Dick، 2011)**

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار ثقافة تعاطي المخدّرات ثقافة فرعيّة ملزمة، ولها نواميسها وتتمركز على هامش ماهو رسمي لأنّها تسعى إلى الإفلات من قوّة الدّولة والمؤسّسات، وتبني تشكيلات ثقافيّة خاصّة بها ترتكز على رموز لغويّة مخصوصة، حيث يعمد أفراد عينتنا إلى ترميز المادّة المخدّرة بمصطلحات خاصّة وتأسيس حقل لغوي مخصوص لا يفهمه إلّا أعضاؤه (صبّاط، كَمْيَة، geton). أمّا الإطار المكاني الأصلح لظاهرة استهلاك المخدّرات فهو المقهى أو تحت جدران البيوت أو تحت أعمدة الكهرباء أو البيوت المشيّدة حديثا وغير مكتملة البناء، في حين أنّ الزّمان الأفضل هو بعد المغرب بساعة، وعند البعض قبل تناول وجبات الطّعام.

هذه الثّقافة جاذبة للشّابّ باعتبار الأخير يبحث عن المغامرة والتّجربة والقطع مع ماهو رسمي، لأنّ جيل الشّباب جيل المغامرة والتّمرّد بدرجة أولى، وبدرجة ثانية فإنّ هامشيّة الأخيرة وصعوباته المعيشيّة تجعله يبحث عن مسكّنات تنسيه وهنه وإن للحظات.

2.6- دور الأوضاع الاجتماعيّة في إقبال الشّاب على تعاطي المخدّرات:

بناء على أقوال بعض أفراد عينتنا، تمثّل الأوضاع الاجتماعيّة عوامل رئيسيّة لاستهلاك المخدّرات، إذ يقول الشّاب (ج.ب)"بالله عليك كيف تريدني أن لا استهلك المخدّرات وأنا لا امتلك عملا ولا بيتا ولا سيّارة ولا عيشا لائقا كبقيّة أبناء جيلي، لم يبق لنا حلّ في هذه الدّولة "العاهرة" سوى استهلاك المخدّرات لأنّها تنسينا مآسينا وآلامنا ووجوه الفقر الّتي نراها كل يوم". **(مقابلة مع (ج.ب)، مدينة سيدي علي بن عون، تونس، 2022/02/05)**

ويضيف الشّابّ (ف.ه) "هل يُعقل أنّ رجلا في مثل عمري لا يمتلك في جيبه دينارا ثمن قهوة ويتسوّل الدّنانير من والدته! أيّ حياة هذه الّتي نعيشها؟ لعن الله هذه المعيشة ". (مقابلة مع (ف.ه)، مدينة سيدي علي بن عون، تونس، 2022/02/01)

إنّ نقص الأموال والفراغ يعنيان نقص في الفرص وهامشيّة خانقة تمنع الشّابّ من تأمين قوت يومه واحتياجاته المعيشيّة الضّروريّة وتحقيق الحدّ الأدنى من العيش اللّائق، ممّا يقود الشّاب إلى الشّعور بالملل والكآبة لذلك يلتجئ إلى الممنوعات والانحراف، وأحيانا الجريمة، وهي كلّها ممارسات في علاقة تأثير وتأثّر بظاهرة استهلاك المخدّرات.

إنّ انغلاق الأفق أمام الشّباب في بيئة فقيرة حيث لا دخل شهري لائق، ولا عمل يحفظ الكرامة مع انعدام تامّ للمساواة الاجتماعيّة أو خدمات الرّعاية الصّحيّة والاجتماعيّة التّرفيهيّة تدفعه دفعا إلى الانحراف.

ويعدّ الفقر العامل الرّئيسي لظواهر الانحراف في جلّ الدّراسات الأكاديميّة، حيث تقوم علاقة ارتباطيّة وثيقة بين الفقر والحرمان الاجتماعيّين من جهة، وظواهر الانحراف باعتبارها حلولا سهلة وذات فاعليّة أسرع.

إنّ تلازم الفقر واستهلاك المخدّرات يحجبان علاقة طرديّة أخرى بين الفقر والفساد الإداري وممارسات النّخب الحاكمة في تغييبها للعدالة الاجتماعيّة واحتكارها الثّروة وحرمان طبقات واسعة من المجتمع من حقّها في الثّروة، وسيطرتها على الاقتصاد، وتهميشها لمطالب الشّباب والفئات الاجتماعيّة المسحوقة.

3.6- تبعات المخدّرات والحلول المعالجة لها:

نتطرّق في هذا العنصر إلى عرض مختلف المخلّفات والتّبعات، ومن ثمّ الحلول المقترحة لظاهرةالمخدّرات بصفة شاملة.

1.3.6- تبعات المخدّرات النّفسيّة:

نستهلّ الحديث من خلال عرض آثار المخدّرات ومخلّفاتها النّفسيّة، ومنها زملة أعراض كورساكوف؛ وهي من الأعراض العصبيّة المعروفة المنجرّة عن استهلاك الكحول والإفراط في تعاطيها، والإدمان عليها، حيث تضطرب الذّاكرة وتكثر الاضطرابات الفكريّة و"قد يصحب ذلك حدوث تغيّرات في الشّخصيّة نحو تبلّد الشّعور وفقدان المبادرة والإهمال الشّديد لمقتضيات الهندام والنّظافة". (**مصطفى سويف، 1996، ص101**)

ومرض العته الكحولي ويكون المريض متذبذبا عقليّا ولا يكون على الوجه الأكمل ليعيش حياته بصفة عاديّة. ويعتبر الإفراط في شرب الكحول سببا رئيسيّا في هذا المرض، وبناء على هذا فإنّ مريض العته الكحولي يعاني من مجموعة من الأعراض ومنها اختلال عمليّة التّعلّم والتّذكّر وحلّ المشكلات والتآزر الحركي البصري والمهارات التّركيبيّة". (**مصطفى سويف، 1996، ص102**)

وكذلك مرض ما يسمّى بالأعطاب تحت الإكلينيكيّة المرتبطة بإدمان الكحوليّات والّتي تؤثّر سلبا على العديد من وظائف الجسم ومنها الذّكاء العام،ومن خلال البحوث باستعمال مقياس وكسلر فإنّ الشّاربون والمتعاطون للكّحوليات لديهم ضعف في مستوى الذّكاء ومعالجة المسائل و"المعاناة الحقيقيّة تبدو على الكحوليّين المدمنين عندما يواجهون بمهام ومواقف تتطلّب تكاملا متجدّدا بين الاستجابات وتعديلا لا يتوقّف لهذه الاستجابات بناء على مقتضيات المردود الإدراكي". (**مصطفى سويف، 1996، ص104**)

وينتج عن تعاطي الأفيون ومشتقاته الاكتئاب والدّخول في قوقعه الذّات والغربة والانفصال عن التّواصل الاجتماعي. ومدمني الأفيونات يُعتبرون في جملتهم "مجموعة هشّة أو مستهدفة أكثر من مجموعات الأشخاص الأسوياء للإصابة بالاكتئاب".(**مصطفى سويف، 1996، ص108**)

وبالنّسبة لتعاطي القنب والإدمان عليه، يترتّب عنه عديد السّلبيّات، ومنها؛ اختلال الوظائف النّفسيّة، حيث يرى الدّارسين والباحثين أنّ اختلال الوظائف النّفسيّة يزول مباشرة بعد استهلاك القنب بساعات، لكنّهم اعترفوا بخطئهم بعد تقدّم الدّراسات والبحوث وإعادة تجاربهم بدقّة،إذ تبيّن لهم بقاء اختلال الوظائف النّفسيّة لمدّة طويلة بعد انتهاء فترة التأثير المباشر للتّعاطي.

وبالنّسبة لمخدّر القات، فقد كانت الدّراسات الّتي توصّلت إلى الضّرر الإنساني صحيحة،إذ توصّلت دراسة في الجمهوريّة اليمنيّة في بداية الثّمانينات أنّ الأطفال المولودين لأمّهات اعتدنا مضغ القات وتخزينه يولدون بوزن خفيف، ويساهم في "التّخلّي عن الالتزام الأسري والإهمال الشّديد لمطالب تنشئة الصّغار وتعليمهم وإهدار الموارد الماليّة الّتي يمكن أن تكون سندا للأسرة في حياتها".(**مصطفى سويف، 1996، ص126**)

2.3.6– تبعات المخدّرات الاجتماعيّة:

من المخلّفات الاجتماعيّة لظاهرة المخدّرات، نجد التّطرّق للعلاقة بين الجريمة وتعاطي المخدّرات، وتختلف البحوث والدّراسات الميدانيّة من خلال الوصول إلى علاقة تضمّ الجريمة والتّعاطي، إذ تصنّف الجرائم إلى صنفين؛ الأولى جرائم عنف وتتعلّق بالإدمان، والثّانية جرائم لا تقترن بالعنف ومنها التّزوير والسّرقة والتّحيّل واللّهفة لتحصيل المخدّر وإشباع النّشوة.

ومن التّبعات الأخرى ارتباط المخدّرات بحوادث الطّرقات،إذ من الدّراسات الميدانيّة الّتي اهتمّت بعلاقة المخدّرات بحوادث الطّريق وتقدّم البرهان العملي على وجود "اقتران ملحوظ بين احتمالات وقوع حوادث الطّريق وخاصّة بالنّسبة لقائدي السّيّارات واللّوريات والدّرّاجات البخاريّة وكون الضّحيّة كان واقعا وقت الحادث تحت تأثير بعض المواد النّفسيّة وفي مقدّمتها الكحول والقنب". (**مصطفى سويف، 1996، ص176**)، وتؤثّر المخدّرات سلبا من خلال انحراف أفراد الأسرة. ويسبّب التّعاطي المستمرّ للمخدّرات في المسّ من قوت يوم المتعاطي، وقوت أفراد عائلته، وقد يؤدّي إلى فعل السّرقة والتّسوّل، ويمرّر هذه الآفة إلى باقي أفراد الأسرة من الأبناء، ويصبح البيت غير آمن بسبب تعرّضه بصفة مستمرّة إلى التّفتيش من طرف السّلطات الأمنيّة بحثا عن الشّخص الّذي يتعاطى أو يتاجر بالمخدّرات، ممّا ينجرّ عنه التّفكّك الأسري والانفصال بين أفراد الأسرة،و"يمكن أن ينتج عن المخدّرات الطّلاق بين الوالدين، وتفشّي السّلوك المنحرف داخل العائلة الواحدة". (**أبو سند بن التّهامي، 2021، ص09**)

3.3.6–الحلول المعالجة لظاهرة المخدّرات:

تتعدّد الحلول المعالجة لظاهرة المخدّرات،إذ يجب النّظر إلى المدمن باعتباره إنسانا مريضا نفسيّا مثل المريض بمرض عضوي، لذلك وجب الإحاطة بالمدمنين ومساعدتهم والسّعي إلى الإبلاغ عنهم لا التّستّر عليهم، والقصد من ذلك معالجتهم لأنّ تركهم بلا علاج هو "جريمة في حقّ المجتمع. ولابدّ من العزل التّام لهذا المريض حتّى لا تنتشر العدوى وتميل إلى درجة الوباء". (**محمّد الأحمدي أبو النّور، 1976، ص140**)

ومن ثمّ، فإنّ التّأهيل الاجتماعي والتّوعية النّفسيّة وفق نظم وقوانين حياة جديدة لا تتماشى والمجتمعات، ويعتبر الوازع الدّيني عاملا أساسيّا في مجابهة المخدّرات والإدمان عليها، ويصبح للمسجد دورا رياديّا في توعيه المجتمع الإنساني بمدى خطورتها. وللمسجد الأثر في "قلوب المؤمنين وعقولهم في مكافحة وباء المسكرات والمخدّرات بشتّى صورها وأشكالها ومسبّباتها، وله الدّور الكبير في هذا المجال". **(محمّد الأحمدي أبو النّور، 1976، ص143)**

وللتّكثيف من الحملات التّوعويّة وجب استعمال وسائل الإعلام والمؤسّسات التّربويّة ودور الشّباب والثّقافة للوقاية من مخاطر المخدّرات. ولا بدّ اليوم من "التّوصية بتعزيز دمج سياسة الوقاية في البرامج المدرسيّة بدلا من تركها حصرا للمبادلات التّطوّعيّة، وينشئ هذا التّوجّه نواة لبثّرسائل وقاية يُتعذر تجاهلها".

(نيكول مايستراشي، 2014، ص87)

وتعتبر مكافحة المخدّرات حلّا من الحلول للحدّ من انتشارها وذلك من خلال مكافحة العرض الّذي ينبني على ثلاثة ركائز؛ المكافحة الأمنيّة والقانون والمشاركة في الاتّفاقيّات الدّوليّة والإقليميّة. ونستهلّ الحديث حول المكافحة الأمنيّة للمخدّرات من خلال مطاردة من يروّجون للمخدّرات داخل الوطن وعلى الحدود من كبار التّجّار والمهرّبين وتشمل "الجهود الأمنيّة الّتي تقوم بها إدارة المكافحة بالتّعاون مع الأجهزة المذكورة على ما يأتي، ضبط المخدّرات على المستوى المحلّي والضّبط بالتّعاون مع إدارات المكافحة بعدد من الدّول. وملاحقة المهرّبين من الأحكام القضائيّة في قضايا التّهريب المحلّي والدّولي". **(نيكول مايستراشي، 2014، ص188)**

والرّكيزة الثّانية هي القانون من خلال تشريع قوانين رادعة لمجابهة المخدّرات وتقنين نظام التّعامل في الأفيون ومشتقّاته كأدوية طبّيّة مع ضرورة تعديل القوانين وإضافة التّشريعات حسب الزّمان والمكان. والرّكيزة الثّالثة هي الإتّفاقيّات الدّوليّة والإقليميّة، فهي آليّة من آليّات مجابهة المخدّرات وانتشارها في المجتمعات، إذ تنشأ العلاقات الّدوليّة والشّبكات القانونيّة للتّصدّي للإتّجار بالمخدّرات وتهريبها و"الدّلالة الحقيقيّة للإتّفاقيّات الدّوليّة هي أنّها ترسم في مجموعها شبكة من العلاقات القانونيّة المتبادلة من الدّول المصادقة عليها لزيادة تمكين هذه الدّول من التّغلّب على مشكلة المخدّرات سواء بزيادة كفاءة المكافحة داخل أو بالتّعاون مع الغير على التّصدّي لها".

(نيكول مايستراشي، 2014، ص190)

. خاتمة :

أردنا في عملنا هذا، أن نبيّن أنّ ما ينظر إليه اليوم في مجتمعاتنا على أنّه انحراف وجرائم ليس إلّا الوجه الظّاهري لحقيقة الفعل الشّبابي، لأنّ القراءة السّوسيولوجيّة تكشف التّراجع الكبير لأدوار مؤسّسات التّنشئة الاجتماعيّة الّتي أصبحت فاقدة للمعنى على حساب تنامي أدوار مجموعات الزّمرة. وأيضا التّاثير الكبير للأوضاع الاجتماعيّة كالفقر والبطالة والبؤس الاجتماعي على الأوضاع النّفسيّة للشّباب. فتكون ظاهرة استهلاك المخدّرات بمثابة انعكاس لمؤسّسات غير قادرة على استيعاب مطالبه، وتوفير أدنى مقوّمات العيش له، ممّا أفرز شخصيّات متأزّمة تعبّر عن ذاتها، وتتجاوز أوضاعها المتردّية، من خلال العنف واستهلاك المخدّرات وغيرها من الممارسات الشبابيّة.

وإذا كان الشّباب في تونس وغيرها من الدّول الأخرى قد اضطلع بدور تأسيسي هامّ، تمثّل في بناء الدّولة الوطنيّة ودفع قاطرة النّمو، وأخذ على عاتقه مهمّة رفع الوعي المواطني، هاهو اليوم يتحوّل إلى هادم للنّسيج والأمن الاجتماعيّين بفعل دولة جعلته على الهامش، ولم تتفهّم مطالبه وخصوصيّات ثقافته.

ممّا يجعل البحث عن حلول لظواهر الانحراف بشكل عامّ، واستهلاك المخدّرات بشكل خاصّ، أولويّة أكاديميّة ومؤسّساتيّة، وهي حلول يجب أن تتجاوز البعد الأمني الّذي لم يؤدّ إلى نتائج ملموسة نحو مقاربة متعدّدة الأبعاد تشمل الأمني والثّقافي والاجتماعي والدّيني.

. قائمة المراجع

1- أبو سند بن التّهامي، (2021)، **المخدّرات وأثرها على الفرد والمجتمع**.

2- أبو نصر إسماعيل الجوهري، (1987)، **الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة**، دار الحديث، القاهرة.

3- جمال الدّين بن منظور، (1984)، **لسان العرب**، نشر أدب الحوزة، إيران، المجلّد 04.

4- دريفل سعدة (2011)، **تعاطي المخدّرات في الجزائر واستراتيجيّة الوقاية**، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، تخصّص علم الاجتماع الثّقافي، كلّيّة العلوم الانسانيّة والاجتماعيّة، جامعة الجزائر 02، السّنة الجامعيّة 2011/2010.

5- عبد الباقي عجيلات، (2018)، **مخاطر المخدّرات**، محاضرات في مقياس، كلّيّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، جامعة محمّد الأمين دباغين سطيف 02.

6- عبد الرّحمان محمّد أبو عمّة، (1998)، **حجم ظاهرة الاستعمال غير المشروع للمخدّرات**، مركز الدّراسات والبحوث، أكاديميّة نايف العربيّة للعلوم الأمنيّة، الرّياض، ط1.

7- عبد العزيز بن علي الغريب، (2006)، **ظاهرة العودة للإدمان في المجتمع العربي**، جامعة نايف العربيّة للعلوم الأمنيّة، الرّياض، ط1.

8- محمّد الأحمدي أبو النّور، (1976)، **احذروا المخدّرات**، المكتب الفنّي لنشر الدّعوة الإسلاميّة،

9- محمّد حسّان كريم، (2017)، **التّعاون الدّولي في مكافحة الاتّجار غير المشروع في المخدّرات**، مجلّة الدّراسات القانونيّة، مجلّد 3، رقم 2.

10- محمّد فتحي عيد، (1987)، **جريمة تعاطي المخدّرات في القانون المقارن**، دار النّشر بالمركز العربي للدّراسات الأمنيّة والتّدريب، الرّياض، ج1.

11- مصطفى سويف، (1996)، **المخدّرات والمجتمع نظرة تكامليّة**، المجلس الوطني للثّقافة والفنون والآداب، الكويت.

12- مصلح الصّالح، (2000)، **الشّامل قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعيّة**، دار عالم الكتب للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الرّياض.

13- نيكول مايستراشي (2014)، **المخدّرات**، ترجمة زينا مغربل، مراجعة دحام إسماعيل العاني وأبو بكر سعد الله، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتّقنية، السّعوديّة.

14- Currie, E. (1994). Reckoning: Drugs, the cities, and the American future. New York, NY: Hill and Wang.

15- Hanson, G. R., Venturelli, P. J., & Fleckenstein, A. E. (2012). Drugs and society (11th ed.). Burlington, MA: Jones & Bartlett.

.16- Haward Becker, (1953),becoming a Marithuana User,American Journal of Sociology,59,235-245

17- Hebdige dick, (2011), Sous-Culture,le sens du style Dans: Olivier Galland,Sociologie de la jeunesse,Armand colin.